﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: 19 - 24]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

تفصيل الجزاء بعد العرض الشّامل يوم الحساب

لمّا انتهى السّياقُ إلى ذروة التَّهويل والتَّخويف بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾، وكان هذا العرْضُ شاملًا كلَّ أحدٍ؛ بيَّن أنَّ هذا الجمع العظيم ينقسِمُ عند الحساب إلى فريقين: من يُعطى كتابَهُ بيمينِه، ومَن يُعطاه بشِماله، فجاء هذا الانتقالُ تمهيدًا لتفصيلِ الجزاء، وبيان ما يَنْتَظِرُ كلًّا مِنَ الفَريقَيْن بحسب عملِه، فبدأ بحال السُّعداء، ووصَف فرحتَهُم ونَعيمَهُم؛ تمهيدًا للمقابلةِ اللّاحقة مع أهل الشَّقاء[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هَآؤُمُ﴾: مُرَكَّبٌ مِن (هاءَ) مَمْدودًا ومَقْصورًا، والمَمْدودُ مَبْنيٌّ عَلى فَتْحِ الهَمْزَةِ؛ إذا تَجَرَّدَ عَن عَلاماتِ الخِطابِ ما عَدا المُوَجَّهَ إلى امرَأةٍ، فَهو بِكَسْرِ الهَمْزَةِ دونَ ياءٍ، وإذا خوطِبَ بِهِ أكْثَرُ مِن واحِدٍ؛ التُزِمَ مَدُّهُ ليَتَأتّى إلْحاقُ عَلامَةِ خِطابٍ، كالعَلامَةِ الَّتي تَلْحَقُ ضَميرَ المُخاطَبِ، وضَمّوا هَمْزَتَهُ ضَمَّةً كَضَمَّةِ ضَميرِ الخِطابِ؛ إذْ لَحِقَتْهُ عَلامَةُ التَّثْنِيَةِ والجَمْعِ، فيُقالُ: هاؤُما، كَما يُقالُ: أنْتُما، وهاؤُمْ، كَما يُقالُ: أنْتُمْ، وهاؤُنَّ، كَما يُقالُ: أنْتُنَّ، ومِن أهْلِ اللُّغَةِ مَن قالَ: إنَّ (هاؤُمْ) أصْلُهُ: (ها - أُمّوا) مُرَكَّبًا مِن كَلِمَتَيْنِ (ها) وفِعْلِ أمْرٍ لِلجَماعَةِ مِن فِعْلِ (أمَّ) إذا قَصَدَ، ثُمَّ خُفِّفَ لِكَثْرَةِ الاستِعْمالِ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 360.

ولا يَصِحُّ هذا القولُ؛ لأنَّهُ لَمْ يُسمَعْ (هاؤُمَيْنَ) في خِطابِ جَماعَةِ النِّساءِ، وفيهِ لُغاتٌ أُخْرى واستِعْمالاتٌ في اتِّصالِ كافِ الخِطابِ بِهِ، و(هاؤُمُ) بِتَصاريفِهِ: اسْمُ فِعْلِ أمْرٍ، بِمَعْنى: خُذْ، وبِمَعْنى: تَعالَ أيضًا[1]، والمراد هنا: خُذوا، أو تعالَوا[2].

2) ﴿قُطُوفُهَا﴾: أصلُ (قطف) يدُلُّ على أخذِ ثَمرةٍ مِن شَجرةٍ[3]، والقَطْفُ: القَطْعُ، والقِطافُ: اسْمُ وقْتِ القَطْفِ، وأقْطَفَ الكَرْمُ: أتى قِطافُه، وما أحْسَنَ قُطوفَهم! أي: أعنابَهم[4]، والقِطفُ: اسم الثِّمار المَقْطوفةِ، والجميع: القُطوفُ[5]، والقُطوفُ في الآية: جَمْعُ قِطْفٍ، وهو الثَّمَرُ، سُمّيَ بذلك لأنَّه يُقْطَفُ[6].

3) ﴿ظَنَنتُ﴾: أصلُ (ظنَّ) يدلُّ على معنيينِ مختلفين: يقينٍ وشَكٍّ[7]، فالظَّنُّ: اسم لما يَحصل عن أمارة، ومتى قَوِيَتْ أدَّت إلى العِلْمِ واليقين[8]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ [القيامة: 28]، أي: عَلِمَ وأيقَن[9]، ومتى ضَعُفَت جدًّا؛ لم يتجاوز حدَّ التَّوهُّم، فيكون معناها الشَّكَّ والاعتقادَ والتَّرَدُّدَ، تقول: ظَنَنْتُ الشَّيْءَ؛ إذا شَكَكْتَ فيهِ ولم تَتَيَقَّنْهُ[10]، ويأتي الظَّن بِمعنى الاتِّهام، والظِّنَّةُ: التُّهَمَةُ، وجَمْعُه: ظُنونٌ[11]، و﴿ظَنَنتُ﴾ هنا واقعةٌ موقع تيقَّنتُ، وهي في مُتيَقَّنٍ لم يقَعْ بعدُ ولا خرج إلى الحِسِّ، وهذا هو باب الظَّنِّ الَّذي يوقَعُ موقِعَ اليقين[12].

4) ﴿مُلَٰقٍ﴾: أصلُ (لقي) يدلُّ على تَوافي شَيئَينِ[13]، واللِّقاءُ: مقابلة الشَّيء ومصادفَتُه معًا، وقد يُعبَّر به عن كلِّ واحدٍ منهما، يُقالُ: لَقيَهُ يَلْقاهُ لِقاءً ولُقيًّا ولُقْيَةً، ويُقالُ ذلك في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 130، 131.
(2) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 484، وابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 231.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قطف).
(4) ابن عباد، المحيط في اللغة: (قطف).
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (قطف).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 133.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظنّ).
(8) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (ظن)، والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 231.
(9) الواحدي، التفسير البسيط: 22/ 170، والقنوجي، فتح البيان: 14/ 295.
(10) ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص: 62، وابن سيده، المخصص: 3/ 223.
(11) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (ظن).
(12) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 360.
(13) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 360.

الإدراك بالحسِّ، وبالبَصر، وبالبصيرة[1]، ولَقيتُهُ لَقْوَةً، أيْ: مَرَّةً واحِدَةً، ولِقاءَةً، واللُّقْيَةُ: فُعْلَةٌ مِنَ اللِّقاءِ، والجَمْعُ: لُقًى[2]، والمُلاقاةُ: مُفاعلةٌ مَنْ لَقيَ، واللِّقاءُ الحُضورُ، ومعنى مُلاقٍ حسابيَه: أنّي مُحاسَبٌ في الآخرة يقينًا.

5) ﴿عِيشَةٍ﴾: أصلُ (عيش) يدلُّ على حياةٍ وبقاءٍ، والعَيْشُ: الحَياةُ، والمَعيشَةُ: الَّذي يَعيشُ به الإنسانُ من مَطْعَمٍ ومَشْرَبٍ، وما تَكونُ بِهِ الحَياةُ، والمَعيشَةُ[3]، وهو في عيشَةٍ ومَعيشَةٍ صالحَةٍ، والعَيْشُ: المَصْدَرُ الجامِعُ، والمَعاشُ يَجْري مَجْرَى العَيْشِ، تَقولُ: عاشَ يَعيشُ عَيْشًا ومَعاشًا، وكُلُّ شَيْءٍ يُعاشُ بِهِ أوْ فيهِ فَهوَ مُعاشٌ[4]، والمقصود بالعيشَةِ في الآيةِ: حالُ العَيْشِ وهيئتُه[5].

6) ﴿عَالِيَةٍ﴾: أصل (علو) يدلُّ على السُّموِّ والارتفاعِ، لا يَشِذُّ عنه شَيءٌ[6]، والعَلاءُ الرِّفْعَةُ، وأمّا العُلوُّ فالعَظَمَةُ والتَّجَبُّرُ[7]، فالعُلْوُ ضدُّ السُّفْلِ، والعُلْوِيُّ والسُّفْلِيُّ: المنسوبُ إليهما، والعَليُّ: هو الرَّفيع القَدْرِ، مِنْ: عَليَ[8]، والعُلوُّ في الآية معناه: الارتفاعُ، وهو مِن مَحاسِنِ الجنّات؛ لأنَّ صاحبَها يُشرِفُ على جِهاتٍ مِن مُتَّسَعِ النَّظر، وذلك زيادة للبَهجة والمَسرَّة[9].

7) ﴿دَانِيَةٌ﴾: (دنو) أصلٌ واحد يُقاس بعضُه على بعض، وهو المقارَبَة، ومن ذلك: الدَّنيُّ، وهو القَريب، مِنْ دنا يدنو، وسُمّيت الدُّنْيا لدُنوِّها[10]، فالدُّنوُّ: القُربُ بالذّاتِ، أو بالحُكمِ، ويُستعمَلُ في المكانِ والزَّمانِ والمنزلةِ[11]، والمراد: قريبَةُ المتناوَلِ، تُنالُ على كلِّ حالٍ مِن قيامٍ وقعودٍ واضطجاعٍ، ولا يَمنَعُ منها بُعْدٌ ولا شوكٌ[12].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 360.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 360.
(3) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عيش).
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عيش).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 132.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (علو).
(7) الخليل، العين: (علو).
(8) الراغب، المفردات: (علا).
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 133.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دنو).
(11) الراغب، المفردات: (دنو).
(12) أبو المظفر السمعاني، تفسير القرآن: 6/ 40.

8) ﴿هَنِيٓـًٔا﴾: أصلُ (هنأ) يدُلُّ على إصابةِ خَيرٍ مِن غيرِ مشَقَّةٍ، فالهَنْء: العَطيَّةُ، وهو مصدرٌ والاسم الهِنْء، والهَنيءُ: الأمر يأتيك من غير مشقَّة[1]، وأصلُه في الطَّعام، يُقالُ: هَنِئَ الطَّعامُ، فهو هَنيءٌ، وما كان هذا الطَّعامُ هنيئًا، ولقَد هَنُؤَ، وهَنِئت الماشيةُ: أصابَتْ حَظًّا من بَقْل[2]، فالهَنيءُ هُنا معناه: ما لا تَنْغيص فيه ولا نكَد ولا كدَر، أي: لا تكديرَ عليكم، ولا تنغيصَ[3].

9) ﴿أَسْلَفْتُمْ﴾: أصلُ (سلف) يدلُّ على تَقَدُّمٍ وسَبْقٍ[4]، وكلُّ شيءٍ قَدَّمْتَه فهو سَلَفٌ، والفعل: سَلَفَ يَسلُفُ سُلوفًا[5]؛ إذا مضى وانقضى وتقدَّم وسَبق، فهو سالِفٌ، والإسْلاف: تقديمُ ما يرجو أن يعود خيرًا، فهو كالإقراض، ومن هذا يُقال: أسلف في كذا؛ إذا قدَّم فيه ماله[6]، وسَلَفُ الرَّجلِ: آباؤه المتقدِّمون والرّاحلون، والأوَّلون السّابقون، وذوو قَرابة الرَّجل الَّذين هم فوقه في السِّن والفَضل[7]، والإسلاف هنا معناه: جَعْلُ الشَّيءِ سَلَفًا، أيْ: سابقًا، والمُرادُ أنَّه مُقدَّمٌ سابِقٌ لإبّانه؛ ليُنْتَفَعَ به عند الحاجة إليه[8]، والمقصود هنا: ما قدَّمْتُم مِنْ أعمالٍ[9].

10) ﴿ٱلْخَالِيَةِ﴾: أصلُ (خلو) يدُلُّ على تعَرّي الشَّيءِ مِنَ الشَّيءِ، يُقال: خَلا المَكانُ، يَخْلو خُلوًّا وخَلاءً؛ إذا لم يَكُن فيهِ أحَدٌ ولا شَيْءَ فيهِ، ويُقال: مَكانٌ خالٍ، أي: فارِغٌ[10]، وخَلا مكانُهُ: ماتَ، ومَضَى، والقُرونُ الخاليَةُ: الماضيَة[11]، ويأتي الخُلوُّ بمعنى الانفرادِ، تَقول: خَلا الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ، أي انفَرَدَ بِها[12]، والمقصودُ بالخلوِّ في الآية: ما مَضى من الزَّمان في الحياةِ الدُّنيا.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هنأ).
(2) الخليل، العين: (هنأ).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (هنأ)، وابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 611، والسمعاني، تفسير القرآن: 1/ 397.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سلف).
(5) الخليل، العين، وابن سيده، المحكم: (سلف).
(6) الواحدي، التفسير البسيط: 22/ 173.
(7) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (سلف).
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 134 - 135.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (سلف)، والكفوي، الكليات، ص: 116، وابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 234.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (خلو).
(11) ابن عباد، المحيط في اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (خلى - خلو).
(12) ابن منظور، لسان العرب، والفيومي، المصباح المنير: (خلو).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

فـرحَـةُ النَّـجـاة تتفجَّر عند رؤيةِ الـكِـتـاب بيمينِ صاحبِهِ

تُخْبِرُنا الآياتُ عن حالِ المُؤْمِن إذا أوتيَ كتابه بيَمينِه يومَ القيامة، فيُنادي مفتخرًا فرِحًا: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾، أي: خُذوه، واقرؤوه، يقدِّمه للنّاس معتزًّا به؛ لأنَّه كان يوقِنُ في دنياه بلقاءِ اللّهِ تَعالى وحسابه، فتهيَّأ لذلك، فنجا، وهذا الظَّنُّ لَم يَكُن شكًّا، بل يقينًا راجحًا دفعَهُ للعمَل، فكانت النَّتيجة أنَّه في "عيشة راضية"، أي: مرضيٍّ عنها في ذاتها، ترضى بها النَّفس، ولا تملُّ منها؛ لأنَّها في "جنَّة عالية"، أي: رفيعة المنزلة والمكان، وثَمَرُها قريبُ التَّناول ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾، لا كُلفة فيها ولا مشقَّة، ثُمَّ يُقال له: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا﴾، أي: بلا حساب ولا منغِّص، جزاءً لما قدَّمتم من الطّاعات في ﴿ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾، أي: الماضية في الدُّنيا، فذاك الجزاءُ ثمرةُ التَّقدُّم في العمَلِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الفاء في جملة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾:

إيـتـاءُ الـكـتـاب بـالـيـمـين أوَّل بشائر النَّجاة بـعـد الـعـرْض العظيم

الفاءُ في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ تفصيلٌ لما أُجْمِلَ في قوله السّابق: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾، فذلك العرْضُ يتضَمَّن الحسابَ والجزاء، وهذا التَّفصيل يُبيِّن مآلَ أحدِ الفريقين، وهو مَن أُعطي كتابَه بيمينه؛ إذْ مَعْناه: أوقِفَ على سجلِّ أعماله إيقافَ تكريمٍ لا توبيخ، فكان أوَّل مشهد من مشاهدِ الجَزاء بعد العَرْضِ[2].

غرَضُ افتتاحِ الجُمْلَةِ بـ (أما):

تفصيلُ مآلِ أهْلِ السَّعادة وأهلِ الشَّقاوَةِ

صُدِّر قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ بـ (أمّا)، وهي حرفٌ دالٌّ على الشَّرط والتَّفصيل، ففيه انتقالٌ إلى التَّفصيل

(1) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير: 5/ 423، ونخبة من علماء التفسير، التفسير الميسر، ص: 567.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 241، وأبو حيان، البحر: 10/ 260، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 24، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 129، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 198.

بعد الإجمالِ؛ إذ بَعْدَ ذِكْرِ الحالِ العامَّةِ من عرضِ العبادِ إلى اللهِ تَعالى؛ بُيِّن هنا على وجه التَّفصيل مآلُ كلٍّ من الفريقين: السُّعداءِ والأشقياءِ، وبُدِئَ بحالِ السُّعداءِ؛ لأنَّ ما تقدَّم كان في سياق الرَّهبةِ والتَّخويفِ، فكان في البدءِ بهم ترغيبٌ بعدَ ذلك التَّرهيبِ، وبعثٌ للطُّمأنينةِ قطعًا لعارِضِ اليأسِ.

سرُّ التَّعبير بالاسمِ الموصولِ ﴿مَنْ﴾:

جاءَ التَّعبيرُ بالاسمِ الموصولِ ﴿مَنْ﴾، في قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾؛ لإفادةِ عمومِ مَن اتَّصف بالوصفِ المذكورِ؛ إذ الاسم الموصول مِن الألفاظِ الدّالَّةِ على العموم، كما أنَّ التَّعبيرَ به يُمهِّدُ لذِكْرِ الصِّلَةِ، وهي التي تربطُ مضمونَها بالجزاءِ المذكورِ بعدُ.

عمومُ الأفرادِ المُتَّصفين بإتيانِهم كتُبَهم بأيمانِهم

غرضُ بناءِ الفعل ﴿أُوتِيَ﴾ للمفعولِ:

بُنِيَ الفعلُ ﴿أُوتِيَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾؛ لما لم يُسمَّ فاعِلُهُ؛ للعِلْمِ بالمُعْطي، وهو الله ﷻ، فكان في طيّه عن الذِّكْرِ تعظيمٌ له وتفخيمٌ، كما أنَّ في تركِ التَّصريح به بيانًا للاعتناءِ بالإتيانِ المذكورِ بقَطْعِ النَّظر عن المُؤْتي؛ إذ المرادُ ههنا بيانُ حالِ الذين يُعرضون على الله تَعالى.

العنايةُ بِشَأْنِ الإيتاء، بقطع النَّظر عن المؤْتي

نوعُ الإضافَةِ في ﴿كِتَٰبَهُۥ﴾:

الإضافةُ في ﴿كِتَٰبَهُۥ﴾ مِنْ قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ للاختصاصِ؛ إذ الكتابُ الذي يُعطاهُ العبدُ هو كتابُ أعمالِهِ التي عَمِلَها هوَ، فلم يَشْرَكْهُ فيها أحدٌ، فلا يُزادُ فيه عملُ غيرِهِ، ولا يُنقَصُ مِنْهُ، وفي هذا تقريرٌ لكمالِ العَدْلِ الإلهيِّ.

اختصاصُ كلِّ كتابٍ بأعمالِ صاحِبِهِ

دلالة الباء في ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾:

الباءُ في ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ دالَّةٌ على الملابَسَةِ، أي: يُؤتى كتابَه ملابسًا ليمينِهِ، ويجوزُ أن تكون للاستعانَةِ، أي: يُؤتى كتابَهُ مستعينًا باليمين في تسلُّمِهِ وقبولِهِ.

اليمينُ عُنوانٌ للكَرامَةِ والخَيْرِ والشَّرَفِ

دلالة الإيتاءِ باليمينِ في النَّظم:

التَّناول باليمين رمـــزُ الـفـلاح والرِّضا، وله في السّياق القرآنيّ إيحاءٌ بالقبول والتَّشريف

إيتاءُ الكتابِ باليمين في الآية ليس مجرَّد بيانٍ لجهةٍ في التَّناول، بل هو في لغة العرب وعاداتهم كنايةٌ عن الكرامةِ، والاعتزازِ بالمُعْطَى، والفرَح به، وهو ما يُلائِمُ مقام البشرى والغبطة والسُّرور في الآية؛ ولذلك لم يُحتَجّ إلى التَّصريح بأنَّ هذا الكتابَ كتابُ فوزٍ، بل يكفي بيانُ أنَّهُ يُؤتى باليمين؛ ليفيدَ ذلك، على ما في عُرْفِهِم وبَلاغَتِهِم[1].

بلاغةُ الإيجاز بالحذف في: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾:

حـذفٌ بليغٌ زادَ المشهد رهبة، وأظهرَ تفاضُلَ المَصائر

في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ كلامٌ محذوفٌ اقتضاه مقامُ التَّفصيل، وتقديره: (فيُؤتى كلُّ أحدٍ كتابَ أعماله، فأمّا من أوتي...)، وهذا الحذفُ من دقائق الإيجاز القرآنيِّ؛ إذ طويَ ما يُفهَم ضمنًا؛ ليُبْنَى عليه تفصيلُ أحوالِ النّاس في الموقف، كلٌّ بحسَبِ مصيرِهِ بَعدَ العَرْضِ[2].

نوع الفاء ودلالتها في: ﴿فَيَقُولُ﴾:

الإشعارُ بسُرْعَةِ الفَرَحِ وامتلاءِ النَّفس بالسُّرور

الفاءُ في ﴿فَيَقُولُ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرطِ[3]، ولا تخلو من معنى التَّعقيبِ أيضًا، فيكونُ فيها إشعارٌ بترتُّبِ القولِ المذكورِ على إيتاءِ الكتاب باليَمين، وذلك حاصلٌ من أوَّلِ زَمَنِ هذا الإيتاء؛ لما امتلأت به النَّفسُ مِنَ الفَرَحِ والسُّرورِ بهذا الجزاءِ الجليلِ.

دلالةُ التَّعبير بالقَوْلِ مادَّةً وصيغَةً:

إظـهـارُ الـفـرَحِ والسُّرورِ

مادَّةُ القول دالَّةٌ على النُّطْقِ[4]، ففيه مَعنى الإظهارِ والإعلانِ، والتَّعبيرُ به في قول الله سُبحانَهُ: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ دالٌّ على إظهارِ الفَرَحِ والسُّرورِ القلبيِّ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 130.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 130.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 199.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قول).

والتَّعبيرُ بفعل القولِ مضارعًا إشعارٌ بتكرُّرِ إظهارِهِ الفَرَحَ، كما أنَّ فيه تصويرًا لهذا القولِ في صورةِ الواقعِ الآنَ؛ تعظيمًا لَهُ وجلبًا للأذهانِ إلى العنايةِ بهِ.

بلاغَةُ الكِنايَةِ في ﴿هَآؤُمُ﴾:

في قوله: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ كناية عن حال البهجة والسُّرور التي يعيشها صاحب الصَّحيفة، فجعل من قولهِ دعوةً للنّاس؛ ليقرؤوا كتابه، وهو لا يدعوهم إلّا افتخارًا واغتباطًا، كمن يعتَزُّ بثمرة جهده، ويُسَرُّ باطِّلاع النّاس عليها، فصار هذا القولُ دالًّا - على وجه الكنايةِ - على النَّعيم والسَّعادة والرِّضا، وهي المعاني المهمَّةُ في السّياق من مجرَّد ظاهر القولِ[1].

الفرحُ بقراءة الصَّحيفة كنايةٌ عن السَّعادة والظَّفر في الموقف الأعظم

نُكتةُ التَّعبير بفعل القراءةِ في قولِه: ﴿ٱقۡرَءُواْ﴾:

آثر البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بفعل القراءةِ في قول الله تعالى: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾؛ لِما يُشْعِرُ به لفظُ القراءة مِنَ التَّأمُّلِ والتَّفهُّمِ، فهو لا يدعوهُم إلى نظرٍ عابرٍ في كتابِ أعمالِه، بل إلى تمحيصِه والنَّظرِ الفاحصِ فيه، وذلك لِثِقتِه بإكرامِ الله تَعالى لَهُ، بأن جازاهُ على صالحِ أعمالِه، وستَرَ عليه ما زلَّ فيه، فدعْوَتُهُ لقراءةِ كتابِهِ يقينٌ مِنْهُ بخلوِّه ممّا يُعدُّ فضيحةً لَهُ.

كمالُ إكرامِ اللهِ تعالى للمُؤْمِن بمُجازاتِه على صالحِ أعمالِه وتَجاوُزِه عن قَبيحِها

سرُّ إثبات هاء السَّكت في ﴿كِتَٰبِيَهۡ﴾ وأخواتها:

الهاء في ﴿كِتَٰبِيَهۡ﴾ ونظائرها - ﴿حِسَابِيَهۡ﴾، و﴿مَالِيَهۡ﴾، و﴿سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ - هي هاءُ سَكْت تثبت عند الوقفِ، ولكنَّها أُثبتت في هذه المواضع في القراءة والكتابة عند الوقف وعند الوصل كذلك - في قراءة الجمهور[2] - وذلك لاعتبارَيْن، أحدهما: أنَّ السّياق ينقل كلامًا محكيًّا كما نطقهُ القائل، فاعْتُمد فيه ما يَجْري على لسانهِ لا ما

إثباتُ الهاء تحقيقٌ لتناسبِ الفواصِلِ، ونقلٌ صادِقٌ للقولِ في مقام الفَخْرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 130.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 142.

يُختزل في الرَّسم العاديِّ. والآخَرُ: أنَّ هذه الكلماتِ جاءت فواصلَ، والفواصلُ في القرآن الكريمِ تُعامَل معاملة القوافي والأسجاع من حيثُ ضبطُ اللَّفظ وتناسق الختام، فلو سقطت الهاءُ لسقط بذلك جرْس الفواصلِ، وهو ما يُعدُّ تفريطًا في مُحسِّن بلاغيٍّ مقصودٍ[1].

الفرقُ بينَ الفاء والواو في تفصيلِ المَصيرَيْن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ﴾:

تعاقبَتْ أدواتُ الرَّبط بدقَّةٍ؛ لتُفْصِحَ عن تبايُنِ المَصيرَيْن في سياقٍ واحدٍ

جاءَ التَّعبيرُ بالفاءِ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾؛ لدلالَتِها على التَّفريعِ مع ما فيها مِن مَعْنى التَّرتيب والتَّعقيب على ما سبق من عَرْضِ النّاس ومُحاسَبَتِهم، فناسبت سرعة الانتقالِ إلى بيان مصير الفريقِ الأوَّل بعد العرْضِ، وأمّا في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ فجاءت الواو لا الفاء؛ للدَّلالة على مطلق الجمع دون ترتيب زمني؛ لأنَّه تفصيل لما ذُكِر قبله، لا تعقيب عليه؛ إذ هو مقابل لحال من أوتي كتابه بيمينه[2].

موقع جملة ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ ممّا قبلَها، ودلالة (إنّ):

مَن فرَّط في دنياه؛ خجل من كتابه، ومن استعدَّ؛ لقيَه بالبشر والرِّضا

قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ واقع في موضع تعليلٍ للابتهاجِ والفخر الذي عبَّر عنه بقوله: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾، فهو يُفصح عن السِّرِّ الذي جعله آمنًا مطمئنًّا عند تسلُّمه كتابه.

وقد دخلت (إنَّ) على الجملة للاهتمام والتَّوكيد بهذا التَّعليل، وهي تفيد في هذا السّياق رابط السَّببيَّة، كأنَّ المعنى: فرحتُ وفخرتُ بذلك؛ لأنّي كنتُ على يقينٍ من الحساب، فأعددتُ له عدَّته، كما تصلح الجملة استئنافًا بيانيًّا لعلَّةِ تلك الحالِ التي سَبَقَتْ[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 131.
(2) الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، ص: 239، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 1/ 479.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 132.

بلاغة الكناية في ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾:

مَن أيقن بالحساب، وأعدَّ له؛ كان لقاؤُه به بُشْرى

قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ ليس مجرَّد إخبار عن ظنٍّ سابق، بل هو كناية عن استعدادهِ في الدُّنيا للحساب، أي: أنَّه لم يغفل عن هذا اللِّقاء، بل كان يوقِنُ به، ويتهيَّأ له بإيمانهِ وعملهِ الصّالح، فهو لم يُفاجأ بالحِساب، بل لَقيَهُ كما توقَّع، فلمّا جاء يومُه؛ سَعِدَ بلقاء عملِه، كما يَسْعَدُ مَن كان ينتَظِرُ لقاءَ حبيبٍ[1].

دلالة الظَّنِّ في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾:

دقّة التّعبير القرآنيّ تتجلّى في اختلاف أدوات الظَّنِّ؛ لتَفصِلَ بين يقين المؤمن وشكِّ الكافر

الظَّنُّ في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ لا يتعيَّنُ معناهُ للشَّكِّ والرَّيبِ، بل (الظَّنُّ) في القرآن الكريم يأتي بمعنى اليقينِ في مواضعَ، كما في هذه الآية، فالمراد: (إنّي أيقنتُ أنّي ملاقٍ حسابيه)[2]، وقد ورد عن الضَّحّاك: (كل ظنٍّ في القرآنِ من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر، فهو شكٌّ)[3].

وللتَّفريق بين الظَّنِّ المذموم والمحمود في القرآن ضابطان:

أحدهما: إن كان الظَّنُّ ممدوحًا أو مثابًا عليه؛ فهو يقين، وإن كان مذمومًا أو متوعَّدًا عليه؛ فهو شكٌّ.

والآخَرُ: إن اتَّصل الظَّنُّ بـ (أنْ) المخفَّفةِ فهو شكٌّ، كقوله تعالى: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 230]، أمّا إن اتَّصل بـ (أنَّ) المشدَّدة فهو يقين، كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾، وذلك لأنَّ (أنَّ) المشدَّدة تؤكِّد المعنى، وتدلُّ على التَّحقُّق، بخلاف (أنْ) المخفَّفة التي توحي بالتَّرجّي أو التَّردُّد، ومثال ذلك في اليقين: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ [القيامة: 28]، وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾، ومثال ذلك في الشَّكِّ: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾ [الفتح: 12]، وقوله: ﴿وَحَسِبُوٓاْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 131، وما بعدها.

(2) السمعاني، تفسير السمعاني: 1/ 75، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 628، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 241، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 25.

(3) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 83.

﴿أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة: 71]، وقد يُتوهَّم الاعتراض بآية: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾، ولكنَّ هذا مردود بأنَّ الاتِّصال فيها بـ (الاسم)، لا بـ (أنْ) المصدريَّة[1].

موقع جُمْلَةِ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ ودلالَةُ الفاءِ فيها:

قول اللّهِ تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ جاء تَفْريعًا على ما سبَقَ من إيتائِه الكتابَ بيمينه، وما تَبِعَهُ مِن البَهْجَةِ والفخر، أي: لمّا نال هذا الجزاءَ، وظَهَرَت عليه أماراتُ الرِّضا؛ كان مِن تمامِ ذلك أن يعيشَ في عيشة تَرْضى بها نفسُه، فهي عيشة قَد رَضيَت عنه، ورضي عنها.

عيشَةُ المُؤْمِن في الجنَّة ليس مرضيًّا عنها فحسبُ، بل هي راضيَةٌ بهِ، مُلائمَةٌ لَه، كأنَّها أُعدَّت له خاصَّةً

والفاءُ في قولِه: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ تُفيدُ التَّفريع، وقد تُجعَل الجملة بدلَ اشتمالٍ من قوله: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾، أي: أنَّ ذلك القولَ كان يتضَمَّن معنى هذه السَّعادة والنَّعيم، فجاءت الجملةُ التّالية لتَفْصيلِ ذلك المُجْمَلِ[2].

بلاغةُ الالتفاتِ في قوله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾:

في قولِ الله سُبحانَهُ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ التفاتٌ من التَّكلُّم إلى الغَيبةِ، فإنَّ قبلَهُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾، فكان مقتضى الظّاهر أن يَرِدَ البيانُ القرآنيُّ: (فأنا في عيشة راضية)، ونُكْتَةُ هذا الالتفاتِ هي الإيماءُ إلى أنَّ كونَهُ في عيشة راضيةٍ ليس شيئًا يشعُرُ به المؤمِنُ فحسبُ، وإنَّما هو حُكْمٌ إلهيٌّ، فيكون أبلغَ في التَّكريمِ وأعظمَ في التَّشريف.

المُبالغةُ في التكريم والتعظيم

ويجوزُ ألّا يكونَ في الجملةِ التفاتٌ؛ لأنَّ جُمَلَ الخطابِ محكيَّةٌ للقولِ في ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ﴾، ثُمَّ لمّا تَمَّ القولُ المحكيُّ؛ ذُكِرَ الجزاءُ الإلهيُّ بقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

(1) الزركشي، البرهان: 4/ 156، والسيوطي، الإتقان: 2/ 237.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 132.

دلالةُ حرفِ الظَّرفيَّةِ ﴿فِي﴾:

﴿فِي﴾ مِنْ قول الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ حرفٌ دالٌّ على الظَّرفيَّةِ، وهو هنا يُفيدُ أنَّ المؤمنَ مغمورٌ في هذه العيشة الهنيَّة، غارقٌ في نعيمِها.

نكتةُ التَّعبير باسمِ الفاعِلِ دونَ المَفْعول في ﴿رَّاضِيَةٍ﴾:

التَّعبير بـ ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ أبلَغُ مِن (مرضيّ عَنها)؛ لأنَّ الرِّضا من جانب العيشة ذاتِها يوحي بصَفائِها ولذَّتها، وكأنَّها هي التي تَخْتارُ مَن يُقيمُ فيها.

توجيه معنى ﴿رَّاضِيَةٍ﴾، ودلالتها البلاغيَّة:

كَثْرَةُ الأوجُهِ في اللَّفظ القُرآنيّ تَوَسِّع المَعْنى وتُثْريه

﴿رَّاضِيَةٍ﴾ مِنْ قول اللهِ تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ وصْفٌ وُصِفت به العيشَةُ في الآخرة، وقد اختُلِفَ في تأويلها على ثلاثَةِ أوجُهٍ بلاغيَّة:

أوَّلُها: على جهة النَّسب، أي: عيشةٍ ذاتِ رضًا، كقولهم: تامِرٌ، ولابِنٌ، لمَن يَمْلِكُ التَّمر واللَّبن، والمعنى: عيشةٍ مستقرٍّ فيها صفَةُ الرِّضا بذاتها، أي: أنَّ أهلها راضون بها تمام الرِّضا؛ لأنَّها قد بلغت مِنَ النَّعيم ما يُرضي كلَّ نَفْسٍ.

ثانيها: على جهة المجاز العَقْليِّ، فكأنَّ العيشة نفسَها هي الرّاضية بمَن نَزَل فيها، فهي قد أُعطيت لمُسْتَحِقِّها، وكأنَّها مختارة له دونَ غيرِه، ولو كانت ذاتَ عَقْلٍ لرَضيَتْ بما آلَ إليها.

ثالثُها: على جِهَةِ الفاعِلِ بمَعْنى المفعول، أي: أنَّ العيشة يُرضى بها، فهي مرضيَّةٌ لَدى مَن يَعيشُها، وهذا من بابِ المَجاز اللُّغويِّ، مثل قوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، أي: يُرضى بها، ولا يَسْخَطُها صاحِبُها.

وهذه التَّوجيهات الثَّلاثة تجتَمِعُ في تصوير مقام الرِّضا التّامِّ - النَّفسيِّ والمقاميِّ - لأهل الجنَّة، فليست العيشةُ نعمةً فحسبُ، بل هي نعمةٌ موصوفَةٌ بالكمال التّامِّ مِن كلِّ وجْهٍ[1].

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 603، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 241، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 25، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 133، ودرويش، إعراب القرآن: 10/ 200.

موقع شبهِ الجُمْلَة ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾:

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[1]، والغرضُ منه بيانُ أنَّ العيشةَ ليسَت حالًا معنويَّةً، وإنَّما هي عيشةٌ راضيةٌ حسًّا ومعنًى.

دلالةُ تَنكيرِ ﴿جَنَّةٍ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿جَنَّةٍ﴾ في قول الله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّفخيمِ والتَّعظيم، أي: هُم في جنَّة عظيمةِ الشَّأنِ رفيعةِ القَدْرِ.

دلالةُ العلوِّ في وصفِ الجنَّة بـ ﴿عَالِيَةٍ﴾:

جنَّة الآخرة عالية في موضعها ومَعْناها

العلوُّ في قول اللهِ تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ يَحْتَمِلُ معنَيَيْن، كلاهُما يُثْري صورةَ النَّعيم مِن حيثُ العلوُّ المكانيُّ الحقيقيُّ، أي: أنَّ الجنَّةَ مرتفعَةٌ في مَكانها، وهذا الارتفاعُ من محاسنِها؛ إذْ يَمْنَحُ أهلَها نظرةَ إشرافٍ وبصيرةٍ على اتِّساع جِنانِهم، ويُريهم من محاسِنها ما لا يُرى لو كانت في مكانٍ مُنْبَسِطٍ، وهذا يَزيدُ بهجةَ النَّفس وسُرورها؛ إذِ المشهَدُ البهيُّ من علٍ مِن أعظمِ لذّاتِ النّاظرين، ومِنْ حيثُ العلوُّ المعنويُّ، أيْ علوُّ المنزلَةِ والقَدْرِ، كقولنا: (فلان رفيعُ المَكانةِ)، وهذا التَّفسير يُؤَكِّدُهُ ارتباطُ العلوِّ بالكرامةِ والاصطفاء، وقد جمَعَت الآيةُ بينَ علوِّ المكان وعلوِّ الشَّأن؛ لتُعطيَ صورةً كاملَةً عَن جنَّةٍ لا يُدانَى قَدْرُها، ولا يُقاس نعيمُها، ولهذا كان قوله: ﴿عَالِيَةٍ﴾ في مقامٍ أبلَغَ وأشرفَ مِن نظيره في وصف الجنَّة الدُّنيويَّة في قوله: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: 265]، فالمقامُ هُنا مقامُ خلودٍ وكرامَةٍ نهائيَّةٍ[2].

دَرْءُ الإشكال عن وصفِ الجنَّة بـ(العالية) مع تفاوُتِ درجاتِ أهلِها:

قد يُتوهَّم من قولِ اللهِ تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أنَّ المراتبَ المُتفاوتَةَ لأهل الجنَّة تُنافي إطلاقَ وصْفِ العلوِّ عليها؛ إذْ بعضُهُم دونَ بعضٍ في

(1) الدعاس، إعراب القرآن: 3/ 376.

(2) أبو حيان، البحر: 10/ 261، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 133.

تفاوت درجاتِ الجنَّة لا يُنافي علوَّها، بل هي عاليةٌ بشرَفِها ومَوْضِعها، وإن تفاوتَتْ منازِلُ أهلِها

المنازل، فهل يُقال عن الجميع: إنَّهم في ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؟ والجوابُ: أنَّ كونَ بَعْضِ المنازل دونَ بعضٍ لا يُنافي كونَها جميعًا عالية، فهي عالية من حيثُ المَوْقِعُ فوقَ السَّماوات، ومن حيثُ الشَّرف والرُّتبة، وإن تفاوتت درجاتُ أصحابِها، بل إنَّ اختلافَ المراتب داخلٌ في الجنَّة العالية نفسِها، فهي عاليةٌ في الجُمْلَة، وكلُّ درجاتها مُكَرَّمة، وإن تفاوتَت في عُلوِّها، ومثلُ ذلك يُقال في العلوِّ الحسّيِّ؛ إذْ قد توصف القصورُ بالعلوِّ وإن كان بعضُها فوقَ بعضٍ، وكذلك إن أُريد بالعُلوِّ ارتفاعُ الأبنيَةِ وإشرافها، فالوصفُ باقٍ، ولا يُنافي تفاوتَ المَنازِل[1].

نُكتَةُ التَّعبير بجَمْعِ الكَثْرَةِ في ﴿قُطُوفُهَا﴾:

كثرةُ ثِمارِ الجنَّة ووَفْرَتُها

جاء التَّعبير بلفظ (قطوف) في قول الله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ على وزنِ (فُعول)، وهو من جموعِ الكثرةِ؛ للدَّلالةِ على كثرة ما في الجنَّة مِنْ ثمارٍ، وتنوُّعها وعدَمِ انقطاعِها.

بلاغَةُ الكِنايَةِ في قوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾:

كمالُ نعيمِ أهْلِ الجَنَّة وتمامُ راحَتِهم فيها

في قول الله سُبحانَهُ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ دلالةٌ على قُرْبِ ثمار الجنَّة وتدلّيها، وذلك كناية عن سهولَةِ التَّناوُلِ وكمال الرّاحَة، بحيث ينالُ أهلُ الجنَّةِ ما يشتَهونَ بلا كدٍّ ولا تعبٍ، فكأنَّ نعيمَ الجنَّة قد انقادَ لَهُم، فلا يحتاجونَ إلى المبالغةِ في مدِّ الأيْدي ولا إلى صعودِ شجرٍ.

مَوْقِعُ جملةِ ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾:

الخطابُ الإلهيُّ لأهل الجنَّة نداءٌ تكريمٍ يُعبِّر عن رضا اللهِ تعالى وتمام النَّعيم

قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ هو مقولُ قولٍ محذوف، والتَّقدير: يقال لهم: كلوا واشربوا... وهذا القولُ صفَةٌ للجنَّة، فيكون المعنى: في جنَّة يُقال لهم فيها كذا وكذا، ويجوز أيضًا أن تكون الجملةُ خبرًا ثانيًا عن قوله: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، أي: هو في عيشةٍ راضية، وفي جنَّة عالية، ويقال له فيها:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 629.

كلوا، واشربوا هنيئًا، وهذا الأسلوبُ مِن الإضمار في التَّعبير - حذف القول - يفتَحُ للنَّصِّ بابًا من الإيجاز البيانيِّ، ويَجْعَلُ السّامع يتخيَّل المقام العظيمَ الذي يُقال فيه هذا القولُ الإلهيُّ الكريم[1].

دلالةُ التَّحوُّل في الضَّمائر من المفرد إلى الجمعِ في السّياق:

مِـنَ الـتَّـفـرُّد في الـحـسـاب إلى الاجـتـمـاعِ في النَّعيم، تتبدَّل الضَّمائر لتُصَوِّرَ مقامَ الكرامةِ

أُفرِدت الضَّمائرُ في الآيات السّابقة عند الحديث عمَّن أوتي كتابَه بيمينه، فلم يرد في النَّظم القرآنيِّ: (فأمّا مَن أوتوا كُتُبَهُم بأيمانِهِم...)؛ لأنَّ تلك المواضع تتعلَّق بالموقف الفرديِّ لكلِّ أحد في الحساب والعرض، فكلٌّ يُحاسَب على حِدَة، ويأخذ كتابه منفردًا، ويُسأل وحده، ولهذا جاء الأسلوبُ بمُفْرَدٍ مذكَّر: ﴿أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾، ﴿ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾، ﴿ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾، لكنْ حينَ حُكي الخطابُ في الجنَّة؛ جاءَ بضمير الجمع: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾؛ لأنَّ الحال تغيَّرت من حالِ العرْضِ الفرديِّ على الله تَعالى إلى حالِ الإكرام الجماعيِّ في دار النَّعيم، فكأنَّ كلَّ مؤمن بعد أن ينفرد بموقفه؛ يلتَحِقُ بموكبِ النّاجين في الجنَّة، فإذا استقرّوا فيها؛ نودوا جميعًا بنداء الإكرام: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾، وهو أسلوبٌ يُشْبِهُ ما يَفْعَلُهُ المُضيف، يحيّي كلَّ ضيفٍ عند دُخولِه، فإذا اجتَمَعوا؛ توجَّه إليهم جميعًا بعباراتِ التَّكريم[2].

دلالةُ فعل الأمر في ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾:

إكرامُ أهلِ الجنَّة وتَشْريفُهُم

صيغة الأمر في ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ خرجت عن أصل دلالتها من الإلزام بالفعلِ، إلى مَعنى الإكرام والتَّشريف، فهي دعوة إلهيَّةٌ إلى الانغماس في نعيم الجنَّة والتَّمتُّع بما فيها مِنْ غير حظرِ شيءٍ عليهم أو حسابٍ، ولذا عُطِف الشُّرب على الأكلِ لاستكمالِ صوَر النَّعيم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 133، 134، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 201.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 134.

دلالة لفظ ﴿هَنِيٓـًٔا﴾:

تنوُّع المعاني النَّحويَّة والبلاغيَّة لكلمةٍ واحدَةٍ يعكِسُ عُمْقَ الدِّقَّة في التَّعبير القُرآنيّ وتكامُلِه

لفظ ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـًٔا﴾ يحتمل أوجهًا:

أحدها: أن يكون (فعيلًا) بمعنى فاعلٍ؛ إذا ثبتَ له الهناءُ، وهو منصوب على النّيابة عن المفعول المطلق؛ لأنَّه وصفٌ لِمَحذوفٍ، والتَّقدير: كُلوا أكلًا هنيئًا، وفي إسنادِ الهناءِ إلى الأكل والشُّرب مجازٌ عقليٌّ؛ لكونِهما مُتَلَبِّسَيْنِ بالهناءِ للآكِلِ والشّارِبِ.

ثانيها: أن يكون اسمَ فاعلٍ مِن غيرِ الثُّلاثي على صيغة: فعيل، والتَّقدير: مُهَنِّئًا، أي: سبب هناءٍ وراحةٍ.

ثالثها: أن يكون فعيلًا بمعنى: مفعولٍ، أي: مُهَنَّأً به.

وعلى كلِّ هذه الأوجُهِ؛ فإنَّ إفراد لفظ ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ مع كونه وصفًا لشَيْئَيْنِ - الأكلِ والشُّربِ - سائغٌ؛ إمّا: لأنَّ فعيلًا بمعنى فاعل لا يطابِقُ موصوفَهُ، أو لأنَّ الكلمة وُصِف بها مصدَرٌ محذوفٌ، والوصفُ بالمصدَرِ لا يُثنّى، ولا يُجمع، ولا يُؤنَّث[1].

دلالةُ الباء في قولِهِ: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾:

الأعمالُ الصّالحة أسبابٌ موصلَةٌ إلى النَّعيم، لكنَّها لا توجِبُه استحقاقًا

قولُه تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ قد يُتوهَّم منه أنَّ دخولَ الجنَّة هو جزاءٌ مستحقٌّ للعمل، على اعتبار أنَّ الباء للمقابَلَة في قوله: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾، أي أنّ الجنَّة معاوضَةٌ عنه وثمَنٌ له[2]، ويُعارضه ظاهرُ الحديث الصَّحيح: "لا يدخلُ أحدٌ الجنَّةَ بعمله..."[3]، والجواب عَن هذا: أنَّ الحديث ينفي أن يكون العملُ مقابِلًا أو مكافئًا للجنَّة، نافيًا باء المعاوَضة والمقابلة، لا باء السَّببيَّة، والسَّببيَّة في قوله: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ هي المعنى الأوجَه في الباءِ، أي: لا يدخل أحدٌ الجنَّة؛ لأنَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 134.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 54.

(3) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، برقم: (5673)، ومسلمٌ في صحيحه، برقم: (2816)، وأحمدُ في المسند، برقم: (7479) واللّفظ له، مِن حديث أبي هُرَيرةَ ﷺ.

عمله يُعادلها أو يُساويها، فثمَنُ الجنَّة ليس هو العمل، بل هي محضُ فضلٍ من الله تَعالى، وأمّا الآية فإثباتها لباءِ السَّببيَّة في قوله: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ لا يدلُّ على استحقاقٍ ذاتيٍّ، وإنَّما يدل على أنَّ العمل كان سببًا لتفضُّل الله تَعالى عليهم بهذا الجزاءِ.

فالجامع بين النَّصَّين: أنَّ العمل سببٌ في الظّاهر، لكنْ لا على وجهِ الاستحقاق، بل اللهُ تَعالى هو المتفضِّل بالسَّبب والمُسَبَّب[1].

دلالةُ (ما) في قولِهِ: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾:

الجزاءُ في الآخرةِ عَـلى جـمـيـعِ الأعْمالِ

(ما) في ﴿بِمَآ﴾ من قول الله تعالى: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ اسمٌ موصولٌ، وهو دالٌّ على العموم، فيشملُ جميع ما قدَّموه من أعمالٍ صالحةٍ، صغيرةً كانت أم كبيرةً، ظاهرةً كانت أم باطنةً، قليلةً كانت أم كثيرةً، فإنَّ الجزاءَ الذي أعدَّه الله تعالى لهم كان بسبب مجموعِ أعمالِهم لا بخصوصِ واحدٍ مِنْها.

دلالةُ التَّعبير بالفعل ﴿أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ مادَّة وصيغةً:

تـقـدُّم الـعـمـلِ وبـقـاءُ أثـرِهِ الحسنِ

جاء التَّعبير بالفعل ﴿أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ في قول الله تعالى: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾؛ لِما تُشْعِرُ به المادَّةُ من التَّقدُّم والسَّبقِ وبقاء الأثَرِ، ممّا يشير إلى أنَّ هذه الأعمالَ قد سبقَت مِنْهم، وتقدَّمت، وبقيَ أثرُها الحسَنُ جزاءً في الآخرةِ، وفي التَّعبير بالفعل الماضي دلالةٌ على تحقُّقِ هذه الأعمال وانقضائِها، فلم يبقَ إلّا الجزاءُ المرتَّبُ عليها.

نُكْتَةُ التَّعبير بالأيّامِ:

قِـصَـرُ الـحـيـاةِ الـدُّنـيـا وسـرعـةُ انقِضائِها

آثر البيانُ القرآنيُّ التَّعبير بالأيّام في قول الله تعالى: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾؛ لِما تُشْعِرُ به الأيّام مِنْ سُرعة الانقضاء، وهكذا شأن الدُّنيا سريعُ الانقضاءِ، بخلاف ما لو جاءَ التَّعبيرُ بالسّنين؛ فهو يوهِمُ طول المدى وسعةَ الأجلِ، كما أنَّ التَّعبيرَ بالأيّامِ دالٌّ على قِصَرِ الدُّنيا مقارنةً بخلودِ الجنَّةِ.

(1) ابن رجب، مجموع الرسائل: 4/ 393، وابن تيمية، مجموع الفتاوى: 11/ 256.

سرُّ التَّعبير بلفظِ ﴿ٱلۡخَالِيَةِ﴾:

لفظُ ﴿ٱلۡخَالِيَةِ﴾ من قول الله تعالى: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ معناه: الماضيةُ البعيدةُ، وهي مشتقَّةٌ من الخلوِّ، وهو الشُّغورُ والبُعْدُ[1]، وآثر البيانُ القرآنيُّ التَّعبير بها دون الماضية؛ لِما في لفظ ﴿ٱلۡخَالِيَةِ﴾ من الدَّلالة على انقضاء الزَّمَن، وفيها إيماءٌ إلى خلوِّ تلك الأيّام من الشَّرِّ والفسادِ والمعاصي، وإذا خلَت من ذلك؛ فقد عَمَرَتْ بطاعة اللهِ تَعالى ولزومِ مرضاتِهِ.

لفظُ الخالية مُشعِرٌ بالخُلوِّ من الشَّرِّ والفسادِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القطوف والجنى:

الفرقُ بين القَطْفِ والجَنى: أنَّ القطفَ يُنظر فيه إلى جِهَةِ الأخْذِ، بخلاف الجَنى؛ فإنَّه يُنظر فيه إلى جِهَة المأخوذ، ولذا جاءَ التَّعبير عنه في القرآن مجموعًا، في قول الله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ۝٥٤﴾ [الرحمن: 54][2].

تُعْتَبَرُ في القطفِ جهةُ الأخْذِ، وفي الجَنى جِهةُ المأخوذِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 135.

(2) الفروق اللغوية المستخرجة من كتاب (التحقيق في كلمات القرآن)، ص: 219.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 63 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-00-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"